لا ولكن آليت ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت
له والشهادة لبيت في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا
فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار
وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام
في الظالم يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس
فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا
وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت
ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت في صحبة الرسول سبيلا وقرئ
يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها
تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية
عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى
ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من
المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر
عن ذكر الله او القران او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة
الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله
كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي
حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن
من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون
كلام الله اتخذت يقرا على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه
الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه
وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وموسيا
وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا مهجورا تركوه
وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم
القران وعلقه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة
متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني
وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف
الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين
والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي
وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القران جملة واحدة نزل هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر
الا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على
شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت
واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما له انزل على التفاريق والقايلون
قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل

تحته

تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة
او مفرقا وقوله كذلك لنثبت به فوادك جواب لهم اي كذلك انزل
مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن
انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه
جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت
حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا
قارئين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة
وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى
ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون
اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك
انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا
والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من
نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا
هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته
ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال
كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة
عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراته وذلك قوله
ورتل القران ترتيلا اي اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي
الله عنها في صفة قراته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه
لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل
ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان انزله مع كونه متفرقا
على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة
متقاربة ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل
في البطلان الا جئناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه
واحسن تفسيرا وبما هو احسن معنى ومؤدى من سوالهم ولما كان التفسير
هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا
الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك
ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران
جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان
نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني
ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل
شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال
لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا
كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون
مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على
وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه

Copyright © King Saud University